الجامعة الإسلامية في لبنان
كلية الإجتهاد والعلوم الإسلامية

الصراع بين الرسول(ص) واليهود في المدينة

في الأبعاد الدينية والسياسية والإجتماعية

رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير

إعداد :
علي أحمد ناصر

إشراف :
د. فرح موسى
٢٠٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقديم

إن للتاريخ أهمية وتأثيره في حياة الشعوب والأمم، ففي التاريخ عبرة لأولي الألباب. بل إن التاريخ مختبر الحياة العظيم، الذي يمكننا من خلاله تقييم مختلف القضايا الإجتماعية ودراستها واستخلاص النتائج والعبر منها. والإسلام يدفعنا إلى الإفادة من تجارب الأمم والشعوب، وفهم سنن الحياة وأخذ الدروس والعبر. وها هو الإمام علي(ع) في وصيته لابنه الإمام الحسن(ع) يقول : " **أي بنّي إني وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم . بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمّرت مع أولهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله[1] وتوخيت[2] لك جميله، وصرفت عنك مجهوله**"[3] . ولكن المؤسف أن كتب التاريخ تعاني من نقص كبير من حيث الإشارة إلى العبر والدروس الدينية والإجتماعية والسياسية المفيدة، ومن حيث إبراز العلل الحقيقية الكامنة وراء الحوادث المتنوعة والوقائع المختلفة. ومع ذلك يبقى التاريخ الإسلامي أقرب تاريخ إلى الحقيقة .

فالتاريخ ذاكرة الجنس البشري ومستودع تجاربه، وهو ينطوي على مجموعة قوانين وسنن ثابتة. إن دراسة التاريخ تكتسب أهمية حياتية وحضارية بالغة، فالتاريخ علم عميق الأغوار له أدواته ووسائله،يستلزم كسائر العلوم تجرداً وحياداً ووعياً بالمقاصد . ولا شك في أن كتابة التاريخ تحتاج إلى النقد والمقارنة والتحليل والتفسير. فلقد عانى تاريخ البشر عموماً وتاريخ الإسلام خصوصاً من تأريخ[4] من ليس بمؤرخ، ونقد من لا يمتلك أدوات النقد، وفلسفة من لم يتوغل في أعماق طبائع البشر. وقد لفت انتباهي عبارةٌ للمحقق الشيخ جعفر السبحاني يقول فيها : " إن التاريخ يذكر لنا كيف

---

(١) النخيل : المختار، المصفّى.

(٢) توخيت : تحريت.

(٣)عبده، محمد، نهج البلاغة، ط٥، بيروت، دار البلاغة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص: ٥٦٠-٥٦١.

(٤) لغوياً يُقال : أرّخ الكتاب أي حدد تاريخه، وإصطلاحاً يدل التاريخ على الماضي البشري . وقد أطلق العرب لفظة تاريخ على كتب تراجم الرجال. ويقال فلان تاريخ قومه اي إليه ينتهي شرفهم ورئاستهم . أما علم التأريخ فهو علم يبحث فيه عن حوادث البشر في الزمن الماضي، فغايته المعرفة بتلك الحوادث وبأزمانها وأماكن وقوعها وبأسبابها ونتائجها والإعتبار بها. راجع: عبد الحميد، صائب، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ط١، بيروت، الغدير للدراسات والنشر، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م، ص١-١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وُجـــدت الحضـــارات المشـــرقة والمدنيات العظمى في العالم ، وكيف سلكت بعد مدة طريق السقوط والإنقراض، حتى أنها محيت عن صفحة الوجود بالمرة وأصبحت خبراً بعد أثر وبالتالي ما هي العوامل التي كانت وراء سيادة الشعوب ثم اندحارها" [1].

إن القـــرآن الكـــريم قد فتح الباب على مصراعيه امام عموم المسلمين لتدارس حياة الامم السالفة والغابرة، لتلافي موارد العطب ومواضع الهلكة كما اشار إليه قوله تعالى : ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [2]، وقوله أيضاً: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [3]، وغير ذلك من الآيات الكريمة، فقد أوقد القرآن في مخيلة المسلم المتدبر في آياته فكرة البحث والتنقيب عن حياة الأمم السالفة .

فالقرآن الكريم من أوثق الوثائق الباقية عن الرسول (ص) وأكثرها يقينية . إنه يتبوأ موقع الشاهد الثقة المطلق على عصر الرسالة من ناحية علمية وموضوعية للحقائق التالية:

١- يـــرجع عصر ظهوره كنص ونقل محفوظ ومدون إلى عصر الرسالة نفسه ومنذ بدئها. فهو يتناول حوادث عصر النبوة الخاتمة منذ بدئها.

٢ – ارتـــباط آياته وسوره بنفس الحوادث، أي أن الآية المعينة أو السورة المعينة كانت تنزل بعد الحدث مباشرة أو مقترنة به، وهو ما يسمى في علوم القرآن بأسباب النزول.

٣- كمـــا أنه لا توجد لدى المسلمين على الرغم من تعدد الفرق والمذاهب نسخ أخرى يدعى فيها الاختلاف. وما يُذكر في بعض كتب الحديث من حذف أو نسخ تلاوة بعض الآيات لم يعبأ به أحد مـــن المســـلمين خلال هذه القرون العديدة . وكذلك فإن ما يُتناول في علم القراءات القرآنية، لا يعدو

---

(١) السبحاني، جعفر، سيرة سيد المرسلين، ط٣، بيروت، دار الأضواء، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م، ج١، ص ١٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كونه قراءة أخرى للفظة لا تؤثر على المعنى تماماً [1]. وبذلك يكون القرآن الكريم أعظم الوثائق التاريخية إتقاناً وأقدم النقول الإسلامية وأوثقها على الإطلاق، وأكثرها قطعية بالنسبة إلى بعض ما حدث للرسول (ص) أثناء حياته. ولذلك فإنه لا يمكن الحديث عن سيرة خاتم الرسل والأنبياء بعيداً عن القرآن الكريم .

ومن الواضح أن البداية الطبيعية لتاريخ الإسلام وأعظم وأهم ما فيه هو سيرة سيد المرسلين محمد(ص). وقد كتب الصحابة وكتب غيرهم ممن عاش في القرن الهجري الأول الكثير عنه(ص)، وكان كثير منهم يملك صحفاً وكتباً يجمع فيها طائفة من أحاديث الرسول(ص) وسننه . أما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) الذي كان أكثر الصحابة علماً وشجاعةً، فلم يكن يفارق رسول الله(ص) في سفر ولا في حضر، وكان يهتم بتدوين حديث رسول الله(ص) اهتماماً بالغاً، وكان يقول(ع) فيما اشتهر عنه: " **قيدوا العلم بالكتابة** ". ومع ذلك فقد كان فريق آخر من الصحابة والنافذين يقول بعدم تدوين حديث الرسول(ص) كي لا يختلط الأمر على الناس بين آيات القرآن وحديث الرسول (ص)، وإن تدوين السُنة النبوية قد يؤدي إلى ضياع القرآن الكريم. نعم، لقد لمس المخلصون فيما بعد الحاجة إلى سنّة الرسول(ص) وأحاديثه كلما تقدم الزمن وكلما ابتعدوا عن عصر الرسول(ص) وازدادت العقبات، فاتضح لديهم بعد مرور قرن من الزمن حجم الأضرار التي نشأت من خلال هذا المنع من تدوين الحديث النبويّ الشريف[2].

لقد حازت سيرة خاتم الأنبياء[3](ص) على اهتمام العلماء والمؤرخين والباحثين والأدباء، فأدلوا بدلائهم في معينها. فهناك من كتب فيها ليحفظ التراث ويبيِّن عظمة محمد بن عبد الله(ص)، وهناك من

---

(١) كما في لفظة (مالك يوم الدين) التي ورد في بعض الروايات جواز قراءتها (ملك يوم الدين) وهي قراءة شاذة لم يُعبأ بها، ومع ذلك هي مسجلة في كتب الرواية وعلوم القرآن . وقد بحث علماء الإسلام مسألة حفظ النص القرآني من التحريف التي دل عليها القرآن نفسه أيضاً بقوله تعالى:{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (سورة الحجر، الآية:٩) . راجع: قصير، مصطفى، الوجيز في علوم القرآن، ط١، بيروت، الدار الإسلامية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص: ٦٧-٨٠.

(٢) مرتضى، جعفر، الصحيح من سيرة النبي الأعظم(ص)، ط١، بيروت، دار السيرة، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م، ج١، ص ٤٩- ٥٦.

(٣) السيرة بالكسر : السُنّة ، والطريقة ، والهيئة ، والمسيرة . راجع: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٢، ص ٥٤.

والسنة في اصطلاح الفقهاء هي قول النبي أو فعله أو تقريره ومنشأ هذا الإصطلاح أمر النبي(ص) باتباع سنته بغض النظر عمّا يدل الفعل والتقرير على بيان الأحكام. أما فقهاء الإمامية فيعتبرون أن السنة هي قول المعصوم(ع) أو فعله أو تقريره. والسرُّ في ذلك أن الأئمة من آلبيت الرسول(ص) ليسوا من قبيل الرواة والمحدثين عن النبي فقط ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقاة في الرواية، بل لأنهم هم المنصوبون-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتب فيها لينال من شخصية الرسول الأكرم(ص) بشكل مباشر، محاولاً الإستهزاء بنبوته ورسالته من خلال إلقـــاء بعض الشبهات فيما يتعلق ببعض جوانب حياته المباركة، سواء على مستوى أميته كعدم قدرته على القـــراءة والكـــتابة، أو عـــلى المستوى الإجتماعي كتعدد زوجاته، أو على المستوى السياسي والعسكري كخوضه الحروب والغزوات، وكإقراره حكم سعد بن معاذ على يهود بني قريظة.

إن إدعاءات وشبهات بعض المستشرقين[1]، ستشكل محوراً رئيسياً من محاور بحثنا العلمي، ولاسيما فيما يتعلق بصراع الرسول مع يهود المدينة عموماً، وبني قريظة خصوصاً. فقد استغل المستشرقون والباحثون مـــن الـــيهود الحـــاقدين على الإسلام والمسلمين، هذه الحادثة التاريخية المهمة والحسَّاسة بأبشع ما يمكن. إستغلوها لكي يشوّهوا صورة الإسلام والمسلمين في أعين الشعوب الغربية والإسلامية. فقد اعتبروا أن مقولة "العفـــو عـــند المقـــدرة" لا تتعدى كونها خرافة تنفيها وقائع التاريخ الإسلامي، وأن ما يسمونه غزوات وبطولات إنما هي في الحقيقة عمليات نهب وسلب وقطع سبيل وسفك دماء واضطهاد أقليات كانت تقطن في جوارهم. ومن المذابح البشعة التي يندى لها جبين التاريخ بحسب ادعائهم: مذبحة بني قريظة، حيث تم فيها ذبـــح أكثر من سبعمائة ذكر، وأما النساء والأطفال فقد تم تقسيمهم بين الجنود كغنائم حرب. فقد أمر محمد(ص) بأن يُقتل كل من أنبت[2] من الذكور، ويقصد بهذا أن يقتل كل الذكور ابتداءً من الصبيان وحتى

= من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعية . راجع: المظفر، محمد رضا، أصول الفقه ،ط٤، بيروت، دار التعارف، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ج٢ ، ص ٥٧.

(١) إن بعض المؤرخين المستشرقين يدعي الإنصاف والموضوعية، إلا أنه من وقت إلى آخر يرمي بسهامه الخفية التي تنال من العقول والقلوب، سهام لا يراها إلا من يقرأ بين السطور، فهو يمرّر من خلال كتاباته أفكاراً عميقة واتهامات خطيرة تصوّر لنا الرسول(ص) على أنه رجل عبقري يسعى وراء طموحاته الشخصية وزعامته السياسية، وقائد عسكري همُّه أن يجعل من الضعف قوة ويحقق الإنتصارات ويبسط نفوذه ويسيطر على شبه الجزيرة العربية . هؤلاء يعتبرون أن النبي محمداً(ص) تفوَّق على النبي عيسى(ع) سياسياً وعسكرياً، إلا أنه(ص) لم يتفوق عليه(ع) روحياً ومعنوياً. فقد ركب النبي عيسى(ع) على الحمار وحمل غصن الزيتون ونادى بالمحبة، بينما ركب النبي محمد(ص) على الفرس وحمل السيف ونادى بالقتال!

ومع ذلك فإن هناك أقوالاً لبعض المستشرقين الذين أعجبوا بشخصية الرسول العظيم(ص)، ومنهم سانت هيلر الذي قال في عظيم شخص النبي محمد(ص) وصفاته الجليلة :" كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية، وهما العدالة والرحمة ". راجع: www.islamonline.net/arabic/in-deph/mohamed/١٤٢٤/eye/article٠١

(٢) أي من نبت له شعر العانة، وهي من علامات البلوغ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيوخ، فضربت أعناقهم في خنادق بسوق المدينة وكانوا قرابة التسعمائة رجل[1]، وأما من لم يكن أنبت فقد تُرك.

أمـــا من ناحية المنهج فقد تم الإعتماد على المنهج التاريخي[2] التحليلي الموضوعي مع لحاظ السياق العـــام ورؤيـــة الحدث بالنسبة إلى الأحداث الأخرى. فالرؤية الشمولية مطلوبة ولكنها لا تغني عن المعرفة التفصيلية ولا تتعارض مع التفسير الموضوعي الذي يأخذ بعين الإعتبار كل المعلومات المتعلقة بالموضوع في حقبة زمنية محددة. ولا شك في أن المنهج التاريخي الموضوعي يعتمد على النظر والتحقيق والتحليل والهدفية، فالتاريخ ليس مجرد رواية للأحداث بل إن للتاريخ مغزى، فما من شيء أصلح لتقويم سلوك الناس من معرفة الماضـــي والإعتبار به. لذا فإن عمل المؤرخ لا يقتصر على تدوين حوادث الزمن الماضي، بل يتوسع ليشمل تفســـير هـــذه الحوادث وآثارها، والبحث عن نقاط الترابط وحلقات الوصل بينها. فلم يتم الإكتفاء بسرد الوقـــائع والأحـــداث، بـــل العمـــل أيضاً على تحليل تلك الأحداث واستقراء الآراء المختلفة والمتنوعة بل والمتعارضة أحياناً، بعين الباحث الذي يتوخى الحقيقة ويتخذ البديهيات والمسلمات العقلية والعلمية منطلقاً لـــه، ويعتمد على المشتركات والوقائع، وعناصر التحقيق، والمنطق السليم، وأدوات البحث العلمي، محاولاً الوصـــول إلى نـــتائج جديـــدة يلتمس منها الدروس والعبر. كما تم تجنب الخوض في الحساسيات المذهبية الإسلامية والتوجه مباشرة إلى الصراع الذي فرضه اليهود على الرسول(ص) بعد هجرته من مكة إلى المدينة.

أما الدوافع والأسباب الموجبة لهذا البحث فعديدة أذكر منها :

١. تعرض الرسالة لتكوين المجتمعات العربية قبيل الإسلام، جغرافياً، وسكانياً، وإقتصادياً، وسياسياً، ودينياً، وإجتماعياً، وأخلاقياً.

---

(١) بحسب بعض الروايات، ولكن التحقيق سيثبت أن العدد أقل من ذلك بكثير.

(٢) يقول أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية المؤرخ د. ابراهيم بيضون إن "البحث التاريخي يكتسب قيمته بقدر ما يقترب من النص ويتوغل فيه، فلا بد من فهم طبيعة النص وتحليل عناصره واستيعابه وإلقاء الضوء عليه بصورة شاملة، على أن ذلك لا يعني الإستسلام المطلق للنص أو التعاطي غير النقدي معه" . راجع : بيضون ، إبراهيم، الأنصار والرسول (ص)، إشكاليات الهجرة والمعارضة في الدولة الإسلامية الأولى، ط١، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٦ م، ص: ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. إبـــراز عبقرية النبي (ص) السياسية، من خلال تسليط الضوء على معاهدة أو صحيفة أو دستور المدينة الخـــالدة، التي جسَّدت مفهوم الوطنية والتسامح والعيش المشترك واحترام حقوق الإنسان منذ ١٤٢٥ سنة تقريباً، وتفنيد بنودها .

٣. تشـــابه وجوه الصراع بين الرسول(ص) ويهود المدينة، ولاسيما بني قريظة منهم، من جهة، والصراع الحـــالي بين المسلمين ويهود فلسطين، الذين اغتصبوا الأرض، وهتكوا العرض، ونقضوا العهود والمواثيق الدولـــية، وكـــادوا المؤامرات للإسلام والمسلمين، من جهة أخرى. فالصراع مع اليهود ونقض العهود والمواثيق لا يزال قائماً إلى يومنا هذا، حيث اتخذ شكل الصهيونية العالمية بالرغم من أن البعض يفرِّق بين اليهودية والصهيونية. أضف إلى ذلك أن اليهود اليوم مدعومون من الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأميركية، كما كان يهود المدينة، مدعومين من رأس الشرك قريش . أما يهود بني قريظة بالتحديد، فقد تم اتخاذهم نموذجاً للبحث، لأن صراعهم مع الرسول(ص) وصل إلى القمة، كما وصل الصراع اليوم مع يهود فلسطين إلى القمة .

٤. المقارنة غير المباشرة بين وجهة النظر الإسلامية لهذا الصراع التاريخي ووجهة النظر الغربية فيه، حيث تم التدقـــيق في كـــلمات المستشرقين التي فيها الغث والسّمين، كما تم التدقيق في كلمات بعض الباحثين الإســـلاميين، فتبيَّن أن بعضهم يشارك المستشرقين في بعض أخطائهم، فعملتُ على إبراز هذه الشبهات ونقدهـــا إن لم أســـتطع نقضـــها، وعرضت ما توصلت إليه من نتائج غير مستأثرٍ بالحقيقة وغير مدَّعٍ للكمـــال. وبهذا يتميز البحث عن غيره من الأبحاث التي تناولت هذا الموضوع من وجهة نظر إسلامية فقط .

٥. نـــدرة الكـــتابات العلمية التحليلية والموضوعية في غزوة بني قريظة وأسبابها الحقيقية ونتائجها الخطيرة والإستراتيجية .

٦. لقـــد استغل اليهود والمستشرقون غير المنصفين، هذه الحادثة التاريخية الحساسة من حياة الرسول(ص)، لتشـــويه صورة الإسلام والمسلمين. فاعتبروا أن النبي(ص) إرهابي قتل قوماً وأبادهم عن آخرهم، حيث تعامل معهم بلغة السيف دون شفقة أو رحمة . كما اعتبروا أن الإسلام انتشر بالقوة، و لم ينتشر بالحكمة والـــرحمة والموعظة الحسنة . لذلك كان لا بد لنا من الإضاءة على هذه النقطة الساخنة والحساسة من ســـيرة الرســـول الأعظم(ص)، التي تجسِّد عقيدة الإسلام وفكره وقيمه وأخلاقه وسياسته . فمن سيرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنســـان الكامل والقرآن الناطق نستلهم أحكام الإسلام ومعارفه . فهي السيرة التي تصلح لكل زمان ومكان، والتي تشكل المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن .

٧. تسلّط هذه الرسالة الضوء على الأسباب التي دفعت الرسول(ص) للقبول بحكم سعد بن معاذ، القاضي بقطع رؤوس المحاربين من يهود بني قريظة وسبي نسائهم وذراريهم وأخذ أموالهم . كما يتضمن البحث في طـــياته، إجابـــةً وتفنيداً لشبهات مستشرقين، ككارل بروكلمان، وكارين آرمسترونغ، ومونتغمري وات، الـــذي تـــناول قصـــة بني النضير، وقصة بني قريظة، وغزوة خيبر، والمقاومة اليهودية، وإسرائيل ولفنسون، الذي اعتبر أن هناك فرصة تاريخية حضارية للتعايش بين الأديان قد ضاعت، ويتناول أسباب النزاع بين اليهود والمسلمين مقتنعاً بأن الصراع ضرورة طبيعية .

٨. كمـــا يقـــدم البحث تحقيقاً في العدد المبالغ فيه للمقتولين من بني قريظة في هذه الغزوة ويصل إلى نتائج جديدة .

أمـــا البحـــث فقد تم تقسيمه إلى خمسة فصول: أما الفصل الأول، فقد تم الحديث فيه عن التكوين التاريخي والجغرافي والإقتصادي والسكاني والسياسي والديني والإجتماعي والأخلاقي للمجتمعات العربية في الحجاز قبيل الإسلام، وكذلك تحدثنا عن البعثة النبوية ومصادر التاريخ الإسلامي . وأما الفصل الثاني، فقد تم الحديث فيه عن هجرة الرسول (ص) إلى المدينة وبيعتي العقبة، وبناء الدولة الإسلامية وموقف النبي(ص) من اليهود والمنافقين، أضف إلى ذلك أهمية الصحيفة أو دستور المدينة وشرح مضمونها . أما الفصل الثالث، فقد تم التطرق فيه إلى الصراع مع اليهود، وأسباب عدائهم للإسلام، وموقف النبي(ص) من بني قينقاع وبني النضير. كما تم استعراض آراء المستشرقين في ذلك وتفنيدها . أما الفصل الرابع، فقد تم التطرق فيه لمعركة الأحـــزاب وغـــزوة بني قريظة الشهيرة، وآراء المستشرقين وتفنيدها. أما الفصل الخامس، فقد تم فيه تفنيد أسباب الحكم على بني قريظة المتعددة والخطيرة، والتي أدت في نهاية المطاف إلى أن يقبل الرسول (ص) بحكم سعد بن معاذ وقتل مقاتليهم وسبي نسائهم وذراريهم.

أما على مستوى المصادر والمراجع التي تمت الإفادة منها فهي عديدة أذكر منها : التاريخ المعروف بـــ " تاريخ الطبري " لمؤلفه الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، و" السيرة النبوية " لابن هشام و" الصحيح مـــن سيرة الرسول الأعظم(ص)" للسيد جعفر مرتضى، و " سيرة سيد المرسلين " للشيخ جعفر السبحاني ، وكـــتاب " في الإجتماع السياسي الإسلامي – المجتمع السياسي الإسلامي محاولة تأصيل فقهي وتاريخي "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للشـــيخ محمـــد مهدي شمس الدين، و" الحجاز والدولة الإسلامية – دراسة في إشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأول الهجري" للمؤرخ إبراهيم بيضون، وكذلك كتاب "الأنصار والرسول – إشكاليات الهجـــرة والمعارضة في الدولة الإسلامية الأولى " للمؤرخ إبراهيم بيضون. زد على ذلك العديد من الكتب المهمـــة جداً في عالم الإستشراق والتي تناولت سيرة الرسول الأكرم(ص)، ولاسيما قضية الصراع مع يهود المدينة وبني قريظة تحديداً، أذكر منها : كتاب " محمد في المدينة " لمونتغمري وات، وكتاب " تاريخ اليهود في بـــلاد العـــرب " للمستشرق اليهودي الدكتور إسرائيل ولفنسون، وكتاب " الإسلام في مرآة الغرب – محاولـــة جديـــدة في فهم الإسلام " للمستشرقة كارين آرمسترونغ، وكتاب " تاريخ الشعوب الإسلامية " للمستشرق الألماني كارل بروكلمان، وبعض الكتب والمصادر الأجنبية الأخرى .

إن هذا الموضوع القديم من حيث الحدث التاريخي، والجديد من حيث البحث والتحقيق ورد شبهات المستشـــرقين، يتخذ أبعاداً متنوعةً ومتعددةً، أذكر منها البعد التاريخي الذي يحتاج إلى منهج خاص في البحث والتحلـــيل والنقد والتحقيق ، والبعد السياسي الذي يظهر بجلاء ووضوح أن الدين الحقيقي والكامل لا ينفصل عن السياسة ولا يتقوقع ولا ينعزل ولا يستقيل عن تحمل مسؤوليات الحياة، بل يثيب المحسن، ويرحم المخطىء التائب، ويعاقب المجرم، ويقود المجتمع إلى السعادة، والبعد الإقتصادي الذي لا ينفصل عن البعد السياسي في أي زمـــان ومكـــان . لـــذا أسأل الله التوفيق، علّنا نأتي بشيء جديد يزيد في وعي أمتنا الإسلامية، بل في وعي الإنسانية، حيث تسيطر وسائل الإعلام والإقتصاد على العقول والأنفس، وأن يتقبل أعمالنا علّها تكون ذخراً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول: تكوين المجتمعات العربية في الحجاز قُبيل الإسلام

تمهيد

أولاً : التكوين التاريخي

ثانياً: التكوين الجغرافي

ثالثاً: التكوين الإقتصادي

رابعاً: التكوين السكاني

خامساً: التكوين السياسي للحجاز

سادساً: التكوين الديني

سابعاً: الإجتماعي و الأخلاقي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد

إن لتكوين المجتمعات العربية قبيل الإسلام، أثر بالغ على إنطلاقته. ففي القرن السادس الميلادي، كان الحجاز برمته في دائرة الضوء والإستقطاب في شبه الجزيرة العربية. وكانت مكة قد تألقت كحاضرة للعـــرب ومركز حيوي يتوسط مثلث التجارة ما بين الخليج واليمن والشام . وقد أشار المؤرخ الدكتور إبراهيم بيضون إلى ذلك قائلاً: "وهكذا بقدر ما كانت انطلاقة الإسلام من مكة، تلبية لحاجة ماسة وهي تخلـــيص المجتمع من أزمته الحقيقية، بالتحول من الوثنية الآسنة إلى الإيمان بالإله الواحد، كان الإسلام في المقـــابل بأمس الحاجة إلى أن تكون مكة الساحة الأولى والمركزية لإنتشاره بين العرب، تمهيداً لإنطلاقته العالمية التي هي من صميم دعوته وخطابها" [1].

ولذلـــك كـــان لا بـــد من أن نتناول في هذا الفصل، تكوين المجتمعات العربية في الحجاز قبيل الإسلام، جغرافياً، وسكانياً، وإقتصادياً، وسياسياً، ودينياً، واجتماعياً، وأخلاقياً. أضف إلى ذلك، التحول الكبير الذي بدأ في المجتمعات العربية بعد البعثة النبوية الشريفة . كذلك كان لا بد في الفصل الأول من هـــذه الرســـالة الـــتي تندرج في سياق التاريخ الإسلامي، الذي يمتاز بدقته وشموله في تسجيل الكلمات والمواقف والحوادث، من أن نلفت إلى أهمية التاريخ الإسلامي ومصادره عامة .

ويتضمن هذا الفصل أيضاً، إطلالة على تاريخ بني إسرائيل ومعاناة موسى(ع) مع قومه، حيث ثبت مـــن خـــلال نصوص التوراة، "الكتاب المقدس" لدى اليهود، أن النبي موسى(ع) قد عانى الكثير مع قومه بالـــرغم مـــن المعجزات التي رأوها منه، وبالرغم من المصائب والويلات التي خلّصهم منها. زد على ذلك تـــاريخ بـــني إسرائيل في بلاد العرب، وعلاقة الرسول(ص) باليهود، الذين كانوا يحتكرون صياغة الذهب والفضة، وصناعة الأسلحة، ويتاجرون بالربا، وينشئون معاصر الخمور وبيوت الدعارة .

---

(١) بيضون،إبراهيم،الحجاز والدولة الإسلامية، دراسة في إشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأول الهجري، ط١، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٥م، ١٤١٦ هـــ ، ص :٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً - التكوين التاريخي

أ- لمحة عامة :

إن معـــرفة التكوين التاريخي للحجاز في تلك الحقبة الزمنية أمر صعب جداً، بخلاف اليمن. وفي ذلـــك يقـــول المؤرخ إبراهيم بيضون:" الحجاز في تكوينه التاريخي أقل وضوحاً من اليمن..فبينما تتوفر المعلومـــات عن اليمن مدعمة بنتائج الحفريات وبعض المصادر الكلاسيكية القديمة، لا نجد في الحجاز إلا القليل الموثق منها..ولذلك فإن الكتابة عن الحجاز قبل القرن السادس (الميلادي) محاولة على جانب كبير من الصعوبة، حيث لا يتوفر من التفاصيل إلا ما يمكن استخلاصه من أخبار اليمن، مركز الإستقطاب في شـــبه الجزيـــرة منذ ألف ونيف قبل الميلاد..فلا زال المؤرخ يتوسل ما ألمح إليه القرآن حيناً، وما تناقلته روايـــات الأخباريين شفاهاً حيناً آخر"[١]. ومما لا شك فيه أن الشخصية التاريخية للحجاز إرتبطت أيضاً بالكعـــبة في مكـــة التي كانت تشكل مركزاً عبادياً للعرب قبل الإسلام[٢]، مع الإعتراف بأن القليل من تـــاريخ مكـــة القديمـــة قد وصلنا، وهو يتناول المراحل التي سبقت دولة قريش التي أسسها قصي بن كـــلاب[٣] في مكة في منتصف القرن الخامس الميلادي[٤].أما الحواضر الأخرى كالطائف ويثرب وبعض المـــزارع والمحطـــات التجارية المتعددة كتلك التي أشرف عليها اليهود، مثل وادي القرى وخيبر، وفدك وتيماء وغيرها، فهي مجهولة التاريخ، أو تكاد[٥]، حيث إن بدايات التدوين والوعي التاريخي عند العرب

---

(١)بيضون إبراهيم، الحجاز والدولة الإسلامية، م. س، ص : ٢٨-٢٩.

(٢) م.ن، ص: ٦٧ .

(٣) أحد أجداد النبي (ص) : إسم النبي (ص) هو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهد بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن خضر بن نزار بن معدّ بن عدنان .
راجع : الطبري ، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ط ٤، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٣م، ج٢ ، ص:٢-٣٢ .

(٤) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف أسعد داغر، بيروت ، دار الأندلس، ١٩٧٣م، ج ٢، ص: ٣٢.

(٥) المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لندن، مطبعة بريل، ١٩٠٩م، ص ١٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الحجـــاز كانت منذ القرن الأول الهجري واعتمدت على روايات لم يكن الغرض منها عملاً تاريخياً يتوخى الحقيقة، بقدر ما توخى المتعة أو العبرة[1].

أما التكوين التاريخي ليثرب في تلك الحقبة الزمنية فكان شبه مجهول أيضاً، وفي ذلك يقول المؤرخ بيضون:" إن العهود المبكرة من تاريخ يثرب، يستأثر بها الغموض شأن مكة والطائف وربما كانت أكثر تعقـــيداً مـــنهما، حيث انعكست عليها تناقضات المجتمع بقبائله اليهودية والعربية المتنافسة والمتباغضة. وتتضارب الأخبار حول اليهود في يثرب ومنابع هجرهم الأولى.. هل هم وافدون إلى المنطقة مع عقيدهم أم من سكانها المتهودين، بفعل مؤثرات دينية تسربت إليهم من اليمن أو من الشام"[2] . ولكي نجيب على هذا السؤال المهم، لا بد لنا من إطلالة على تاريخ بني إسرائيل القديم، ومن ثم على تاريخ بني إسرائيل في بلاد العرب، بشكل موجز وسريع، واستطلاع آراء مؤرخين يهود وعرب.

ب - عرض موجز لتاريخ بني إسرائيل القديم :

بـــنو إســـرائيل هم الأسباط من آل يعقوب. كانوا يعيشون أولاً عيشة القبائل البدوية ثم أشخصهم الفراعـــنة إلى مصـــر حيث كانوا يعاملون معاملة الأسراء المملوكين حتى نجاهم الله بموسى(ع) من فرعون وعمله. وكانوا في زمن موسى(ع) يأتمون به ومن بعده بيوشع(ع). "وقد كان موسى من رجال السياسة المتصـــفين بالصبر والأناة، أما يوشع فلم يكن إلا جندياً فظاً، وقد حكم موسى(ع) حكماً سليماً لم تُسفك فيه دماء، أما يوشع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الذي يقول إن أكثر الناس قتلاً هو الذي يبقى حياً، وبهـــذه الطريقة الواقعية التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة..وهكذا بدأت قصة اغتصـــاب الـــيهود لفلســـطين ويمكن أن نقسِّم حياة بني إسرائيل بفلسطين أقساماً ثلاثةً متميزة هي: عهد القضاة، عهد الملوك، عهد الإنقسام فزوال ملك بني إسرائيل من فلسطين"[3] .

---

(١) بيضون ، إبراهيم، الحجاز والدولة الإسلامية، م. س، ص : ٣٧.

(٢) م. ن، ص:٤١.

(٣) شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، ط١١، مصر- القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٣م، ج١، ص: ٧٩-٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج- تاريخ بني إسرائيل في بلاد العرب :

إن الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع المهم بعناية ودقة، قليلون جداً بل نادرون، حتى أن المصادر التي يمكن الإفادة منها فعلياً يصعب إيجادها . ونذكر منهم الدكتور إسرائيل ولفنسون في كتابه " تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام" [1] الذي احتل أهمية كبيرة. ويقسّم المؤرّخ اليهودي ولفنسون تاريخ بني إسرائيل في بلاد العرب إلى طورين أساسين:

- **الطور الأول** : يقف عند نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، حيث يعترف ولفنسون أن أغلبية اليهود كانوا مشركين يخلطون بين عبادة الله وتقديسهم لبعض الأصنام. ومع توالي العصور تأثرت العقلية اليهودية بالشريعة الموسوية وخضعت لها أفكار اليهود تدريجياً . ويشير ولفنسون إلى أن المصادر التاريخية التي تحتوي على بعض المعلومات عن هذا الطور قليلة جداً، وأن المرجع الوحيد الذي يمكننا أن نستقي منه أخبار بني إسرائيل إلى القرن الخامس قبل الميلاد إنما هو كتاب العهد القديم . ويشكك ولفنسون بصحة الرواية التي تتحدث عن أول هجرة في تاريخ بني إسرائيل إلى بلاد العرب حيث تطوف قبيلة بني شمعون من فلسطين إلى أرض طور سيناء مع ماشيتها لتبحث لها عن مرعى فوصلت إلى الجزيرة العربية! ويعترف ولفنسون بغموض

---

(١) أما المؤلف فهو مؤرخ يهودي معاصر يدعى إسرائيل ولفنسون الذي يعتبر مؤرخ اليهود في العصر الحديث . لقد أخذ الكتاب حظه من الشهرة، فهو رسالة حصل مؤلفها بها على درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية، وكان المشرف على الرسالة الدكتور طه حسين الذي له شهرته الأدبية المعروفة ، مما أضفى على الكتاب صبغة زادته قيمة جعلته في مصاف المؤلفات التي يشار إليها ويحرص القراء والباحثون وذوو الثقافة العالية على أن يقتنوا مثله . ومن يقرأ مقدمة الدكتور طه حسين للكتاب، يعتقد أن الكتاب مبرأ من العيوب والمآخذ التاريخية، والحق أن المؤلف أنصف الحقيقة في مواضع مختلفة من الكتاب حيث عاب على بني إسرائيل تفضيلهم الوثنية على التوحيد وذلك حين ذهب زعماء بني النضير إلى أهل مكة، يشجعونهم على حرب المسلمين . ولكن المؤلف ايضاً لم ينصف الحقيقة في مواضع أخرى، حيث كانت كتاباته مليئة بالمغالطات وتحريف الكلم عن مواضعه. فقد ركز الكاتب على التأثير الكبير لليهود في الجزيرة العربية على لغة العرب وأدبهم وشعرهم وعاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم، كما يعتبر أن تحالف اليهود مع كفار قريش ومشركي مكة عبدة الأوثان لمحاربة أهل التوحيد وإستئصالهم أمر لا يوجه إليه أقل لوم لأنهم يحاولون الثأر من خصومهم المسلمين . وهو يعتبر أنها سجية من السجايا البشرية وطبيعة من الطبائع الإنسانية بل وعمل مشروع مقبول لدى جميع الأمم متناسياً أن ذلك كان عقاباً لهم على غدرهم وتآمرهم على الرسول (ص) ونقضهم العهد .

راجع: ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، تحقيق وتعليق، د. محمد السيد الوكيل، مصر – الجيزة، دار ، قطر الندى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ص: ٥-٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الرواية وإبهامها ويشكك بعض المستشرقين في أن يكون لقبيلة شمعون هذه وجود في عالم الحقيقة[١]. ويستشـــهد ولفنسون بصحف العهد القديم التي تذكر أن بلاد طور سيناء وشمال الجزيرة بوجه عام كانت ملجأ يقصد إليه كثير من بني إسرائيل الذين كانوا يفرون من وجه الملوك والحكام الظالمين[٢]، ولا سيما في عهـــد الملك بختنصر الذي غزا أورشليم[٣]، ولكنه ينفي إثبات هذه الأخبار قائلاً: "لا يمكننا أن نطمئن إلى الأخـــبار القليلة التي نصت عليها بطريقة غير مباشرة صحف العهد القديم عن وصول جموع إسرائيلية إلى الجزيرة العربية، ولا نستطيع أن نثبت هذه الأخبار إثباتاً حقيقياً"[٤].

– **الطور الثاني**: أما بالنسبة إلى طور اليهود الثاني في بلاد العرب فقد ذكر ولفنسون أن جموعاً كثيرة مـــن الـــيهود في القـــرن الأول والثاني قبل الميلاد، أخذت تهاجر إلى الأرجاء العربية عموماً، وإلى الربوع الحجازية خصوصاً. أما الأسباب[٥] التي ذكرها لهذه الهجرة فيمكن تلخيصها فيما يأتي:

١. زيادة عدد اليهود في فلسطين زيادة مطردة جعلت البلاد تضيق عن أن تسعهم .

٢. هجوم الدولة الرومانية حوالي القرن الأول قبل الميلاد على بلاد فلسطين، حيث قوّضت أركان الدولة اليهودية وأخضعتها لسلطانها بشدة وقسوة .

٣. الحـــرب التي وقعت بين اليهود والرومان سنة ٧٠ بعد الميلاد والتي انتهت بخراب بلاد فلسطين ودمار هيكل بيت المقدس وتشتت اليهود في أصقاع العالم .

ويقول ولفنسون أن مصادر التاريخ العربية تؤيّد الرأي القائل بأن جموع اليهود في الجزيرة العربية قد زادت وكثرت بعد اضطهادات الرومان لليهود، وقد يجوز أن تكون هذه الروايات اتصلت بالعرب من يهود يـــثرب وخيـــبر، حيث خرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهول هاربين من الروم إلى الحجاز، حيث كانت للـــيهود مســـتعمرات كبيرة وآطام وحصون على رؤوس الجبال، كما انتشرت الحركة الزراعية والصناعية والتجارية وأنشئت أسواق عديدة يهودية[٦].ويذكر ولفنسون أن هذا الإستعمار اليهودي الجديد في الجزيرة

---

(١) م.ن، ص : ٣٤-٣٧ .

(٢) سفر الملوك الأول، فصل: ١٩ .

(٣) أرميا، فصل: ٤٠، آية: ١١ .

(٤) ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اليهود في بلاد العرب، م.س، ص: ٥٠ .

(٥) م. ن. ص : ٥١ — ٥٢ .

(٦) م. ن. ص :٥٢-٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : صراع الرسول(ص) مع بني النضير ١٠٥
أ – نقض العهد والمؤامرة : ١٠٥
ب– القرار الحكيم : ١٠٧
ج- قطع نخل بني النضير : ١٠٩
د- بعض صفات اليهود : ١١٢
١ – الجبن : ١١٢
٢ – اليهود والمنافقون لا ينصرون حلفاءهم : ١١٢
٣ – يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين : ١١٣
٤ – ضعف العامل الروحي والمعنوي لديهم: ١١٤
هـ - تحقيق أسباب النصر : ١١٥
و- المهاجرون وأموال بني النضير : ١١٦
ز- موقف بعض المستشرقين من حادثة بني النضير : ١١٨
١ – تفهم آرمسترونغ لسلوك محمد(ص) : ١١٨
٢ – أسباب إعلان الحرب على بني النضير عند ولفنسون : ١١٩
٣ – وات وقصة بني النضير: ١٢٠

الفصل الرابع: معركة الأحزاب وغزوة بني قريظة ١٢٣

تمهيد ١٢٤
أولاً– معركة الأحزاب ١٢٤
أ- موجز عن معركة الخندق : ١٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - أهداف الحرب : ١٣١
ج - عوامل التجييش : ١٣١
د - خطة الدفاع وعوامل النصر : ١٣٢
١ - حفر الخندق : ١٣٣
٢ - معرفة العدو: ١٣٥
٣ - الحذر وبث العيون : ١٣٦
٤ - مشاورة الأصحاب : ١٣٦
٥ - الشجاعة والبطولة : ١٣٦
٦- عوامل أخرى للنصر ١٣٨
هـ - موقف آرمسترونغ من معركة الأحزاب : ١٣٩
ثانياً: غزوة بني قريظة ١٤٢
أ- الآيات القرآنية وتعبيراتها العميقة : ١٤٢
١- آيات معركة الأحزاب : ١٤٢
٢-آيات تتعرض لموقف المنافقين : ١٤٣
٣-آيات تبين موقف المؤمنين الصادقين : ١٤٤
٤- آيات تبيّن نتيجة معركة الأحزاب : ١٤٥
٥- آيات غزوة بني قريظة : ١٤٦
ب - موجز عن غزوة بني قريظة : ١٤٧
ج - غدر بني قريظة : ١٥٠
د - عدد القتلى من يهود بني قريظة : ١٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ - جزاء المحارب : ١٥٥

و - آراء بعض المستشرقين : ١٥٧

١ - آرمسترونغ وغزوة بني قريظة : ١٥٧

٢ - وات وقصة بني قريظة : ١٦١

٣ - ولفنسون وانضمام بني قريظة إلى الأعداء : ١٦٣

الفصل الخامس : المستند في الحكم على بني قريظة ١٦٥

تمهيد ١٦٧

أولاً: عالمية الإسلام ١٦٩

ثانياً- اليهود في القرآن ١٧٢

ثالثاً: الإخراف العقائدي ١٧٣

رابعاً: الإخراف السلوكي ١٧٧

أ- معاناة الأنبياء مع اليهود : ١٧٧

ب - معاناة موسى(ع) مع قومه : ١٧٨

خامساً - نقض العهد ١٨٢

أ - الإسلام وجريمة نقض العهود : ١٨٢

ب- نقض دستور المدينة : ١٨٨

ج - رفضهم النزول على حكم الرسول(ص) : ١٩١

سادساً - الحكم عليهم طبقاً لشريعتهم ١٩٤

سابعاً - تاريخ الانسانية: ١٩٧

٦٥٤٢٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit